Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 14, Sep. 2019

Published online in September

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الرابع عشر، سبتمبر 2019م

السحر في مصر القديمة

وريدة على محمد المنقوش

قسم التاريخ– كلية التربية– جامعة مصراتة

Wraidda.Almangoush@Gmail.com

الملخص

يُعد السحر إرثاً بشرياً عاماً ظهر عند الجماعات البشرية البدائية كافة على اختلاف ثقافاتها؛ فقد رافق ظهور الإنسان على الأرض شعور بوجود قوى خفية ذات قدرات عظيمة، لذا عمد إلى استرضائها، ومن هنا بدأت معرفته بالسحر لتفسير الظواهر المختلفة، ومواجهة تردي الظروف المحيطة. ويُفترض أن يضعف تأثير السحر كلما ارتقى الإنسان سلّم المدنية واتسع أفق العلم بين يديه، ولكن لا يزال هذا الإرث القديم كامناً في نفوس الكثير من البشر بأشكال متفاوتة من القوة والضعف، ولعل أبرز الأمثلة لتداول السحر على نطاق واسع في العالم القديم ظهر في مصر، حيث تكاملت العناصر اللازمة لازدهاره رسمياً وشعبياً.

كلمات مفتاحية: السحر– مصر القديمة– قوى خفية.

Magic during the Ancient Egypt

Abstract:

Magic is a human legacy in general, existed in all primitive human communities regardless of cultural differences. The appearance of human being on the face of the earth was accompanied of a feeling of existing hidden powers with great capabilities, thus, man worked towards pleasing it, and from that point on began to acquire the knowledge of magic for explaining the different phenomena and to help him face the difficult surrounding circumstances. The effect of magic is supposed to grow weaker as human being advanced in science and in civilization, but this ancient legacy continued and still exist in the souls of a great number of human

beings in different forms of strength. The most obvious example concerning using magic in a large scale in the ancient world, is Egypt because of the availability of all of its elements wither it be official or public for its flushing.

Keywords: Magic, ancient Egypt, hidden powers.

كان للسحر مكانة مهمة في عقائد المصريين قديماً؛ فقد أدى دوراً فعالاً ومؤثراً في حياة كافة طبقات المجتمع من الفلاح البسيط إلى أعلى سلطة في الدولة؛ حيث استخدمه ممثلو الإدارة المركزية ضد الأعداء الخطرين والأمراء الأجانب، كما أن الميثولوجيا المصرية تزخر بقصص السحر المتداول بين الآلهة التي استخدمت التمائم والتعاويذ ليكون لبعضها سطوة ونفوذ على البعض الآخر. أما أبرز أنواع السحر وأكثرها شيوعاً بين العامة في مصر القديمة فهو السحر الوقائي الذي يهدف إلى طرد الأرواح الشريرة، ودفع خطر الحيوانات المفترسة أو الضارة، والتخلص من الأمراض، والانتقام من الأعداء، وتجنّب العين المؤذية، ووقاية الموتى من شر الشياطين في العالم السفلي. وبالتالي لا تبدو أهمية السحر عند المصري القديم في ذاته أو لخاصية بجوهره بل في الهدف أو الغاية المرجوة من وراء الاستعانة به.

ولا مجال لإنكار وجود السحر فقد ورد الجذر (س ح ر) 59 مرة بصورة مباشرة في القرآن الكريم بحوالي 25 سورة، بينما تمت الإشارة إليه بصورة غير مباشرة لمرة واحدة بصيغة النفث في العقد في سورة الفلق، وغالباً ما كان يتمحور حول تكذيب الأنبياء والرسل واتهامهم بالسحر. لقد ورد ذكر سحرة فرعون في القرآن الكريم 15 مرة، وكان من نوع الشعوذة بدليل قوله تعالى: ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ الآية 65 سورة طه (شعبان،2004، ص72-73). وقبل الولوج في هذا الموضوع لابد من وقفة للتمييز بين السحر والمعجزة؛ فالمعجزة من لدن الله سبحانه وتعالى دون كسب أو عمل، تتنزل على الأنبياء دعماً لهم في مواجهة تكذيب أقوامهم بدليل قوله تعالى: ﴿وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ الآية 31 سورة القصص، بينما السحر يُكتسب بالتعلّم بدليل قوله عز وجل ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ الآية 101سورة البقرة ، ﴿ إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ الآية 70 سورة طه (شعبان، 2004، ص59).

وفي الوقت الذي كان فيه الإنسان قادراً على استخدام عقله في الملاحظة والتجربة والاستنتاج مع ظواهر عدة كتغيّر وتقلب حالات الجو، وحدوث الفيضانات، ودورة حياة النباتات المختلفة خلال المواسم، والكسور والجروح والإصابات وغيرها من الحالات والظواهر فإنه وقف عاجزاً أمام ظواهر أخرى لم يتسنى له تفسيرها كالزلازل، والرعود، وتفشي الأوبئة فافترض لها أسباباً خفية، وظلت عالماً مغلقاً مبنياً على التكهنات لا على البرهان التجريبي أو المنطقي، ومن هنا اتجه إلى معالجتها بوحي من معتقداته لذلك ارتقى فيما يتعلق بالظواهر الواضحة أو الجلية ليبدأ منها تكوّن العلم، بينما توقف عند الظواهر الغامضة لترتبط لديه بما يمكن أن نسميه السحر الذي برز لمساعدة الإنسان في التخلص من الآثار السلبية لاستحواذ قوى شريرة عليه والعمل على طردها (يحي، 2015، ص10).

تعريف السحر (Definition of Magic)

ورد تعريف السحر في المصباح المنير بأنه إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال سحره بكلامه استماله برقته وحسن تركيبه، ولفظ سحر في عُرف الشرع مختص بكل أمر يُخفى سببه ويُتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ﴿ يُخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ الآية 65 سورة طه وإذا أُطلق ذُم فاعله، وقد يُستعمل مقيداً فيما يُمدح ويُحمد نحو قوله إن من البيان لسحرا أي أن بعض البيان سحر لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه فيستميل القلوب كما تُستمال بالسحر (المقري، 2003، ص 162).

أما مختار الصحاح فقد عرّف السحر بأنه الأخذة وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر، والساحر العالم وسحره أي خدعه، وسحره تسحيراً مثله قول الله تعالى ﴿ إنما أنت من المسحّرين﴾ الآية 153 سورة الشعراء (الرازي، 1988، ص ص 288-289). وقد جاء تعريف السحر في دائرة المعارف البريطانية بأنه القيام بطقس أو نشاط يُعتقد أنه يؤثر في أو على الأحداث الإنسانية أو الطبيعية من خلال الوصول إلى قوة روحية خارجية فيما وراء مجال النشاط الإنساني، ويُعد الجوهر لعديد الأنظمة الدينية والأساس لأغلب الثقافات البدائية (Encyclopedia. 1979. Vol. 6. p483). ويُعد السحر ظاهرة اجتماعية وثقافية وُجدت في جميع الأماكن وفي كل الأزمنة مع اختلاف في درجة الأهمية، وهو ينتشر بشكل خاص

خلال مراحل الانتقال والتغيرات الاجتماعية السريعة بمعنى حين تصبح علاقات الصراع والنزاعات الشخصية أكثر أهمية من تلك العلاقات التقليدية أوقات الاستقرار (Encyclopedia. 1979. Vol. II. pp298-299).

إن لفظ Magic (سحر) مشتق من كلمة Mag وهي كلمة فارسية تعني بشكل عام العلم والحكمة، وهي تدل على معانٍ مختلفة ومعتقدات وطقوس تفترض التحكم غير العلمي من قِبل قوى خارقة وكامنة في العالم لصالح الإنسان (ريفيير،2015، ص207). إذاً السحر معناه صرف الشيء عن حقيقته أو صورته إلى شيء آخر مخالف للحقيقة، أو هو الخيال المحض، ويُطلق على ذلك في كثير من الأحيان "التخييل"، وهو ادعاء السيطرة على الكائنات أو على الطبيعة بوسائل خارقة (سورولن، 2016، ص116). إن كل ما يتجاوز نطاق محسوسات الإنسان ويفوق مستوى تفكيره وتفسيره ويُثير دهشته يُوصف بأنه سحر (نعمة، 2001، ص139). والسحر هو نظام من الأفعال القائمة على الاعتقاد بالفاعلية الفورية لبعض التصرفات التي يُقصد منها خلق النتائج المطلوبة، أو هو محاولة من الإنسان لترويض الطبيعة والآخرين تبعاً لمشيئته وإرادته، أو محاولة السيطرة على القوى المحيطة به بواسطة ممارسات معينة (يحيى، 2015، ص106). ويُعد السحر صورة من صور هذيان عقل الإنسان أو انعكاساً للشهوات والأحقاد والأحلام والرغبات المكبوتة والتعبير عن البؤس والقسوة والخوف والكره (ريفيير، 2015، ص240). وإجمالاً يمكن القول: بأن الغاية الأساسية للسحر تكمن في الوصول إلى نتيجة لم يتيسر تحقيقها بوسائل أخرى عادية (كونج، 1999، ص378).

إن مصطلح السحر واسع تندرج تحته عديد التصنيفات للتمييز بين المظاهر المختلفة التي ظهر بها ومنها (الماجدي، 1998، ص43-45):

- تصنيف السحر على أساس الممارسة العملية: إيجابي / سلبي.
- تصنيف السحر على أساس اجتماعي: خصوصي / عمومي.
- تصنيف السحر على أساس فائدته: نافع (أبيض) / ضار (أسود).
- تصنيف السحر على أساس النية أو القصد: تلقائي / إرادي.

وقديماً لم يكن ثمة تقسيمات محددة للسحر وإنما هو إما سحر خيّر يهدف إلى تحقيق شيء مرغوب، ويندرج تحته السحر الوقائي لتجنب شيء غير مرغوب. وإما سحر ضار يهدف إلى إلحاق الأذى بأشخاص معينين، فضلاً عن الشعوذة والدجل.

إن السحر الوقائي الذي يتضمن السحر الحامي/ المضاد للتمائم/ العلاجي/ النفسي يُعد أساساً لغالبية النصوص السحرية، التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية بمصر (كونج، 1999، ص ص378-380). إن الإيمان بالسحر أكسبه نوعاً من القوة الاجتماعية لاعتقاد المؤمن به، انه يمكنه – بنفسه أو بالالتجاء إلى وسيط هو الساحر- فرض إرادته على تلك القوى التي تحيط به، الأمر الذي يخلصه من القلق، وهذا على ما يبدو هو أساس النزعة الطقسية (Ritualism) التي تدفع الشخص إلى القيام ببعض الحركات التلقائية، أو التلفّظ ببعض العبارات عند القيام بعمل ما لتخفيف توتر الأعصاب. وكما يُقاس السحر بدوافعه يُقاس أيضاً بنتائجه؛ ذلك أن السحر في العالم القديم هو بمثابة القانون في العصر الحالي، مع فارق مهم وهو أن السحر اعتمد على الرعب من الأرواح والخوف من المجهول في حين يركن القانون اليوم إلى الوعي الاجتماعي. وإذا كانت القواعد والثوابت التي سنّها في الغالب حكماء القبيلة بناءً على خبراتهم وتجاربهم وأيضاً مصالحهم تنطوي في بعض جوانبها على أضرار تفوق نفعها فإن السبب في ذلك قد يرجع إلى فارق آخر بين السحر–وهو جامد لا يقبل التغيير؛ وبين العلم الذي تتغير أسسه بطرح البراهين الدالة على خطئه (غليونجي، 1999، ص21)، ويمكن القول إن الفكر السحري يرتكز بشكل عام على رؤيته للعالم كمجال تتجابه فيه عناصر متصارعة تهدد النظام العام للكون (كونج، 1999، ص394).

يقوم السحر على مبدأين هما (فرايزر، 2014، ص29):

1- مبدأ التشابه، ويوحي بأن الساحر يُعطى الأثر الذي يرغبه بمجرد تقليده، أي أنه يستطيع تحقيق هدفه عن طريق المحاكاة والتقليد، لأن قانون التشابه يقضي بأن المعلول يشبه العلة، ويمكن تسمية السحر الذي يعتمد على مبدأ التشابه بسحر التجانس أو المحاكاة.

2- مبدأ الاتصال، وبناءً على هذا المبدأ يستطيع الساحر أن يفعل بشخص ما كل ما يفعله بشيء مادي يتعلق بذلك الشخص، كجزء من ثياب، أو خصلة شعر، أو قلامة أظافر.

أركان السحر: ثلاثة: الساحر، الطقس، التعويذة، وتفصيلها كالتالي:

الساحر أو السحرة (Magician or Magicians)

لم تكن ممارسة السحر متاحة لمن يشاء، بل إن الكثير من المؤهلين، لذلك يتم ترشيحهم منذ الطفولة بناء على مزايا تظهر فيهم أو من حولهم؛ كأن يكون أحدهم من سلالة ساحر، أو أن تقترن أفلاك مناسبة ساعة ميلاده، أو أن يحمل علامة ما بجسده، أو أن يكون مُصاباً بأحد الأمراض التي كانوا يسمونها بالأمراض المقدسة، كالصرع والهستيريا، الخ. وكان هذا الشخص يتلقى تربية خاصة ويتم عزله وتحديد علاقاته (غليونجي، 1999، ص16)، وعليه أن يتعلّم الحكمة أولاً وإلا جلب لنفسه ولغيره المتاعب (جاك، د.ت، ص135). لقد كان للسحرة في مصر القديمة مدارس خاصة يُسمونها بيوت الحياة (بر-عنخ pr-anx) ويقولون أنها تحت رعاية الإله تحوت [1] (Thoth)، الذي يعتقدون أنه أول من وضع للسحر كتبه العلمية وطلاسمه، وكان الملوك يفتخرون بجعل تلك المدارس تحت رعايتهم ويشملونها بعنايتهم، وقد بلغ من تعظيم الفرعون للسحر والسحرة أنه كان يلقب نفسه برئيسهم (جيار، 2008، ص81). وعادةً ما يكون بيت الحياة مُلحق بمعبد وهو عبارة عن مكان مُحاط بسور وبكل جهة من السور بوابة، يتوسط المكان فناء مُغطى بالرمل، ووسط الفناء خيمة بها تمثال أوزيريس[2] (Osiris) في شكل جسد محنّط، وحول الفناء تصطف المباني التي خُصص بعضها لإيواء الطلبة والبعض الآخر للدراسة والتدريب ونسخ الكتب (جاك، د.ت، ص70)، وأشهر بيوت الحياة بمصر القديمة ظهرت بصفة خاصة في ممفيس وابيدوس والعمارنة وأخميم وقفط وأسنا وأدفو حيث المعابد الكبرى، والتي أُلحق بكل منها بيت حياة خاص به يقوم فيه الكهنة بتدريس النصوص الطبية المقدسة، ومناقشة القضايا الفلسفية والدينية، وكذا الطبية والأدبية، وإعداد الجداول الفلكية، وتحرير القراطيس المستخدمة في تأدية الطقوس والشعائر اليومية والتي يتم حفظها في المعبد لتكون في متناول

([1]) تحوت، إله الكتابة، والمختص بحماية الكتبة، ومخترع العلوم والفنون (لوكر،2000، ص84).
([2]) أوزيريس، إله العالم السفلي، وهو الإله الممثل لخصب الأرض والنباتات (بوزنر، وآخرون، 1996، ص 72).

المتعبّدين، ونسخ آلاف النسخ من كتاب الموتى [3] (Book of The Dad)، فضلاً عن وجود أصحاب الفنون والرسوم والزخارف المقدسة لرسم المناظر وتصويرها وترميم الجدران (Sanueron. 2011. pp135-136).

إن أهم مراحل تعلّم السحر هي المرحلة التي يبدأ فيها طالب السحر اقتناء تمائم هليوبوليس[4] (Helioplis)، وهذا يعني أن معلمه صار يعترف به وبقدراته، وتُنسب تلك التمائم إلى مدينة هليوبولس، مدينة العلوم المقدسة، خاصة علوم السحر في مصر القديمة، وبعد فترة من التدريب يخضع الطالب لأول امتحان لتحديد مدى استيعابه وفهمه لما تلقاه من علوم السحر؛ حيث يكلفه معلمه بترويض حية خطرة، وعليه أن يفعل ذلك بثبات وشجاعة مُظهراً ما لديه من قدرات سحرية (جاك، د.ت، ص ص47،52). وبعد إتمام دراسته يتحصل الطالب على شهادة بالنبوغ والتفوق بعد اختباره أمام الفرعون الذي يُقر له بالكفاءة ويصير من حقه الحصول على لقب (شرحب-Sharhb)، وهو لقب يُمنح لمن أتم الاطلاع على الكتب الإلهية. وكان المصريون يجعلون علوم السحر في مصاف العلوم المقدسة، ويدرجونها مع العلوم الأولية كالطب والبيان والحكمة، ويحفظون كتبه في دور الكتب الملكية المشيدة بالمعابد.

كان السحرة في مصر القديمة ينقسمون إلى نوعين؛ أحدهما قانوني تعترف به الحكومة، وتأذن له بمباشرة عمله، وأغلبهم من أبناء الأمراء ممن تلقوا تدريبات طويلة على تطهير النفس، ومقاومة الشهوات، والامتناع عن الملذات، والانزواء عن العالم في خلوات خاصة لتصفو مداركهم، فضلاً عما أخذوه عن أساتذتهم من فنون السحر المختلفة، أما السحرة غير القانونيين فهم الذين لا تتوفر فيهم

(3) كتاب الموتى، عبارة عن لفائف من البردي تتضمن مجموعة من التعاويذ التي تساعد صاحبها على اجتياز عقبات العبور إلى الآخرة، وتمنحه السلامة في العالم السفلي، اشتهر باسم كتاب الخروج في النهار، وقد جرت العادة على إيداع نسخة منه في تابوت المتوفى الغني أو بين طيات أربطة مومياءه، وقد عُثر على الكثير من نماذجه في المقابر الفرعونية (بوزنر،وآخرون، 1996، ص281).

(4) هيلوبوليس، مدينة الشمس، وكانت تُسمى في اللغة المصرية القديمة إيونو Iouno ومنها أُشتق اسم أون On اليوناني، وهي تقع شمال شرق القاهرة قرب مدينة ممفيس (ڤيرنوس، يويوت، 2001، ص271).

أغلب الشروط السابق ذكرها، ولا تعترف بهم الحكومة وتعاقبهم إذا باشروا أعمالهم دون تصريح (جيار، رينر، 2008، ص ص 81-85)، وفي بعض الحالات كان السحرة يمثُلون للمحاكمة ويواجهون عقوبات قاسية إذا ما ثبت ممارستهم للسحر الأسود؛ ومن ذلك على سبيل المثال محاكمة السحرة الذين اشتركوا في التآمر على الفرعون رمسيس الثالث 1198-1166ق.م فيما عُرف بمؤامرة الحريم حيث تم إعدام بعض السحرة، بينما انتحر البعض الآخر قبل تنفيذ الحكم، وكان أولئك السحرة قد أمدوا حريم الفرعون بكتابات سحرية ودُمى من الشمع كتبوا عليها تعاويذ لشل أعضاء من تمثلهم وذلك لتسهيل تنفيذ المؤامرة ضد الفرعون (الماجدي، 1999، ص270)، ولعل عقوبة الإعدام هنا – وهي أقصى ما يمكن أن يُحكم به على أي متهم– لم تكن لمجرد ممارسة السحر وإنما لكون الجرم يرقى إلى مستوى الخيانة العظمى أو الانقلاب على الحكم.

يقوم المعتقد السحري على الإيمان بأن شخصية الساحر تنطوي على وجود قوة مقدسة تمكنه من السيطرة على العالم الخارجي والتحكم فيه (الماجدي، 1998، ص37)، وثمة قواعد لابد من اتباعها عند ممارسة السحر، وقد وردت بعض تلك القواعد في مدونات مقابر ملوك الدولة الحديثة 1567-1085ق.م ومنها: أنه يجب على الساحر أن يغتسل بماء النيل، ويرتدي ثوباً جديداً، وينتعل حذاء أبيض، ويدهن جسده بالزيوت العطرية المقدسة، وأن يحمل بيده مبخرة تفوح منها رائحة البخور، وأن يضع في فمه ووراء أذنيه قطعاً صغيرة من ملح النطرون، وأن يرسم على لسانه صورة ماعت[5] (Maat) بمداد جديد لم يُستعمل من قبل وحينذاك يكون قد أتم استعداده وصار جاهزاً لممارسة السحر (جاك، د.ت، ص55). لم يكن الساحر في مصر القديمة يشغل وظيفة محددة فهو تارة كاهن، وأخرى طبيب، أو كاتب، أو فلكي (كونج، 1999، ص394)، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الدور

([5]) ماعت، اعتبرها المصريون تجسيداً للقوانين والحقيقة والعدالة، صُورت في شكل امرأة تضع ريشة نعام على رأسها، ومن الطقوس المتبعة عند الوفاة في مصر القديمة محاكمة المتوفى ووزن قلبه بوضعه في إحدى كفتي ميزان العدالة، وفي الكفة الأخرى ريشة ماعت، رمز الحق؛ ليُعرف ما إذا كان خيّراً أم شريراً، (لوكر 2000، ص216).

الذي تولته بيوت الحياة حيث تتنوع الأنشطة وتتعدد التخصصات، الأمر الذي حفّز الطلبة وأتاح لهم فرص التمرّس فيها جميعاً.

إن تعاطي السحر في مصر القديمة لم يقتصر على المستوى الشعبي؛ إذ إن الكهنة هم من يعرف مصطلحاته ويحسن تطبيق وصفاته (دونان، كوش، 1997، ص332). إن مهارة السحر يمكن أن تنتقل بالوراثة أو يمكن شراؤها من سحرة آخرين أو من الممكن اختراعها بواسطة الساحر نفسه، ويمكن أن يتم تسخير السحرة من أجل القيام بأعمال سيئة أو خيرة (Encyclopedia. 1979. Vol. II. p299). ولا شك أن أنواع القوى التي يستخدمها السحرة للقيام بأعمال شريرة تم استخدامها من قبل سحرة آخرين للقيام بأعمال خيرة ونافعة (سوزولون، 2016، ص98)، ومن ناحية أخرى لا تخلو كتب التراث من إشارات إلى قدرات السحرة على تنفيذ عجائب مدهشة، ولكن لا وجود لهذه الأعمال المدهشة أبداً على أرض الواقع أثناء التطبيق؛ لأنها في الحقيقة صورة أدبية خرافية استمدت جذورها من الحقيقة العادية التي تضخمت، وتمت إحاطتها بالكثير من المبالغة والخيال (دونان، كوش، 1997، ص139).

بشكل عام لا يمكن التمييز بشكل قاطع بين ساحر وكاهن وطبيب، ومع ذلك فقد ظهرت بعض الألقاب المرتبطة على ما يبدو ببعض الوظائف الأكثر تخصصاً ومنها خري تب (Xry tb) الذي تُرجم بصفة عامة إلى ساحر، في حين أن معناه الحرفي هو "متصدّر الجميع"، أي: المتواجد في المقدمة، وهي قريبة من لقب خري هبت (Xry hbt)، وهو القائم بالشعائر، والمسؤول عن قراءة النصوص الشعائرية والتعاويذ أثناء الاحتفالات، والذي صار يُعرف بالكاهن المرتل أو الواعظ (كونج، 1999، ص27).

سو أو ساو (Sau) ويعني ساحر وهي قريبة من كلمة تميمة (Sa) (موني، 1999، ص178)، ولذلك كان بعض الأطباء يحملون لقب الطبيب الساحر ساو. هيكاي (Hekay) نادر الاستخدام ويعني ساحر أيضاً، وقد انحصر استخدامه خلال عصر الدولة الوسطى 2133-1786ق.م، ويستخدم مصطلح هيكاي-إن-كاب (Hekay N Kap) للإشارة إلى ساحر عائلة الملك (نن،

2012، ص220)، وكلمة هيكاي مأخوذ من هكاو أو حكا أو هيكا (Heka) إله القدرة السحرية (موني، 1999، ص278).

وثمة أطباء يحملون ألقاباً كهنوتية تشير إلى اشتغالهم بالسحر، وكونهم سحرة محترفين، منهم اثنان من كهنة الإلهة سخمت[6] (Sekhmet) يحملون لقبي واب (Wab)، وإمي-ار-واب (-Imy-R-Wab)، وآخرون يحملون ألقاباً مثل هم-نتجر (Hem-Netjer) أي: خادم الرب، وواب-نيسو (Wa-Nesu) أي الكاهن الملكي (نن، 2012 ص252-253).

لقد كان أولئك الكهنة معلمون مهرة في كل ما يتعلق بالسحر؛ حيث يتولون طقوس طرد الجان، وتجهيز التمائم الخاصة بالشفاء من مختلف الأمراض ومن لدغ الحيات (sanueron. 2011. p166)، ولعل هذا ما يفسر اللجوء إليهم في كثير من الحالات باعتبارهم أطباء معروفين نتيجة صِلاتهم الوثيقة ببيوت الحياة التي يتم فيها استنساخ وحفظ النصوص الدينية والسحرية، وبالتالي يصعب عزل وظيفتهم كسحرة عن وظائفهم الأخرى (كونح، 1999، ص33). والجدير بالذكر أن الطبيب الساحر في بعض المجتمعات البدائية يسمى الشامان (Shaman) وهو مصطلح كان متداولاً في الأصل بين البدو الرحّل من قبائل سيبيريا، ولم يلبث أن انتشر بين سكان القطب الشمالي، وتقوم فكرة الشامانية على تصوّر حلول روح خارجية بجسد الشامان الذي يتصرف بوحي أوامر صادرة عن تلك الروح (الماجدي، 1998، ص95).

الطقوس السحرية (Rituals of Magic)

كان الغرض من الممارسات السحرية في معظم الأحوال الحماية من الشر، ولكن طبقاً لدرجات متنوعة تتدرج من الحماية من الأمراض إلى السحر المضاد إلى التمائم الدفاعية ذات الطابع الوقائي (دونان، كوش، 1997، ص140)، فضلاً عن إقامة العديد من الطقوس بهدف طرد الأرواح الشريرة التي تتقمص الضحايا، وإبطال الأذى الذي يسببه سحرة آخرون (سوزولون، 2016، ص ص108-109). أما فيما

(6) الإلهة سخمت، معنى اسمها القوية، وقد صُورت في شكل امرأة برأس لبؤة، وكانت ترتبط بالكوبرا الملكية التي تنفث النار لذا صارت بمثابة عين رع، كما ارتبط اسمها بالسحر والطب، (مهران، 1989، ص416).

يتعلق بالتحضيرات اللازمة قبل النطق بعبارات فك السحر فإنه لا تتوفر معلومات كافية بالخصوص، وربما كان يرافق ذلك طقوساً محددة كتطهير بسيط أو اغتسال، وربما التضحية بذبيحة في بعض المناسبات (دونان، كوش، 1997، ص142).

إن الطقس السحري يقوم أساساً على قوة الساحر في تحويل الشبه إلى حقيقة، وهذا يتطلّب حركات وأفعال يأتي بها الساحر لكي يوحي بذلك (الماجدي، 1998، ص37)، وكان الساحر يقوم بنقع البردية التي تضم النص المقدس في إناء مليء بالماء حتى تذوب كلماتها وتختلط الطاقة السحرية لها بذلك الماء الذي يحتفظ به الساحر ويشربه عند الحاجة، وبالتالي تصبح الكلمات والمعاني السحرية جزءً من كيانه الروحي والمادي (جاك، د.ت، ص31). إن الأهداف التي سعى المصريون قديماً إلى بلوغها من خلال الطقوس السحرية هي: الحصول على البركة والصحة وطول العمر للأحياء، وتموين الموتى بالطعام والشراب في عالمهم السفلي، والحماية من لدغ الثعابين والعقارب، والتخلص من الأعداء، وإفساح المجال أمام المتوفين للتجوّل في الكون، والمساعدة في تعريف الموتى بأسلافهم من سكان العالم السفلي (جاك، د.ت، ص10).

ومن ضمن الطقوس السحرية طقوس التطهير التي تحظى بأهمية خاصة، وهي ظاهرية تشمل نظافة الجسد، وباطنية تشمل نقاء القلب؛ حيث يستحم الساحر والكهنة بوجه عام عدة مرات في اليوم، ويهتمون بتنظيف أفواههم بالماء وملح النطرون لاعتقادهم بأن الفم حين يكون طاهراً فإن الكلمات التي تخرج منه تكون طاهرة أيضاً، كما كان على الكهنة أداء طقس غسل الأيدي والأقدام بمكان مخصص لذلك في المعبد يُعرف باسم بيت التطهّر لإيمانهم أن تكرار غسل الأيدي والأقدام يساعد على التخلص من أي طاقة سلبية قد تعلق بهما، وبعد الفراغ من طقوس التطهّر يصبح الساحر جاهزاً لارتداء الثوب الطقسي الأبيض ويُعرف بثوب "واعب" أي ثوب المتطهّر، وبذلك يصبح الساحر نقياً ونظيف الجسد وآنذاك يكون بإمكانه الجلوس للصلاة والتأمل (جاك، د.ت، ص53).

وعادةً ما يصاحب تلاوة التعاويذ قيام الساحر بحركات مبنية على القياس أو على الاعتقاد بأنه يمتلك القدرة على تحويل الشبه إلى حقيقة؛ وذلك باستخدام الحركة كوسيلة لنقل التعويذة إلى المصاب، أو بالقيام بتمثيل الأمر المطلوب لضمان حصوله فعلاً كتحريك اليد لمحاكاة حركة الماء، أو النفخ لمحاكاة حركة الهواء،

ولا شك أن أهم مميزات الساحر هي تحليه بالذكاء والمهارة وانتهاز الفرص للقيام بأعماله المثيرة فهو على سبيل المثال لا يقوم بالطقوس التي يدّعي فيها قدرته على إسقاط المطر إلا حينما تُنبئ حالة الجو بذلك (غليونجي، 1999، ص ص14،19). ولعل أعنف أنواع السحر ما كان يتم عن طريق طقوس التمثيل بالدُمى الشمعية؛ حيث يُربط التمثال الشمعي بخيط أسود ثم يُبصق عليه ويُداس بالأقدام ويُضرب بالسكين ويُلقى بعد ذلك في النار (دونان، كوش، 1997، ص141).

وبشكل عام يمكن القول إنه باستثناء طقوس التمثيل بالدُمى الشمعية فإن الحركات الشعائرية أو الطقوس التي ترافق عادة ترتيل التعاويذ لا تبدو واضحة بشكل جيد؛ وذلك لعدم توصل الباحثين إلى معرفة الإطار المنهجي العام الذي اعتمده السحرة، أو لعدم وجود مثل ذلك الإطار في الأصل (دونان، كوش، 1997، ص139).

التعاويذ (Incantations)

التعويذة أو الكلمة السحرية، هي: ما يطلقه الساحر من ألفاظ أثناء قيامه بأداء طقس سحري فهي تشكل الجانب اللفظي، بينما يشكل الطقس الجانب العملي، وقد حافظت التعاويذ على تركيبها اللغوي بمرور الزمن في شكل كلمات قد لا تدل على معنى محدد، أو في شكل تراكيب لغوية قديمة وألفاظ مهجورة (الماجدي، 1998، ص38). تُعد التعاويذ أهم أركان السحر تتركز قوتها بصفة خاصة في صيغتها اللفظية، وهي لا ترتبط بشخص الساحر أو نيته، ولا يمكن تغيير مسارها بعد التلفّظ بها الأمر الذي جعل لمنطوق التعويذة قيمة أعلى من مدلولها، وفرض الالتزام بشكلها وطريقة إلقائها حرفياً، وأي تعديل في ذلك يؤدي إلى تغيير طبيعتها ويفقدها فاعليتها حسب اعتقادهم (غليونجي، 1999ص ص 10،12).

وفي الأحوال العادية في الحياة اليومية كان باستطاعة أي شخص إلقاء تعويذة مناسبة تلائم الحالة، أما في الحالات الأكثر خطورة فتتم الاستعانة بأحد المتخصصين لقاء أجر معين (دونان، كوش، 1997، ص ص140- 141)، وتتباين التعاويذ، فمنها ما كان يُرتّل أثناء العلاج، ومنها ما كان يُرتل أثناء تحضير الدواء، ومنها ما كان يُرتّل على الشخص المعوّذ، أو على التميمة التي تحمل قوة التعويذة فتنتقل من الساحر إلى المريض دون استخدام دواء، وكان الطبيب الساحر عند قيامه بإلقاء التعويذة، إما يتكلم بلسانه كساحر

أو بلسان الإله أو بلسان المريض نفسه (غليونجي، 1999، ص ص35-36). وفي جانب آخر قد يستخدم الساحر تعاويذه ضد عمل ساحر آخر، وتدل النصوص بوضوح على وجود سحر مضاد ومنها " سوف نحميه من سحر السوري، أو النوبي، أو الليبي، أو سحر قوم مصر، أو ساحر شيطاني وكل صورة ممكنة من السحر"(دونان، كوش، 1997، ص141).

لقد اعتقد المصريون القدامى أن القوة التي يمتلكها الكاهن المتمرس بفنون السحر هي قوة غير محدودة؛ فالساحر يمارس السحر عن طريق إلقاء أو نطق كلمات أو أسماء ذات قوى خارقة، واعتقدوا أنه عبر الإلقاء السليم لتلك الكلمات يمكن طرد الأرواح الشريرة والشفاء من الأمراض (يحي، 2015، ص280)، ومن ذلك مثلاً هذه التعويذة لعلاج نزلات البرد وقد وردت بالفقرة 763 من بردية ايبرس [7] (Ebers) "انصرف أيها البرد يا ابن البرد... يا من تكسر العظام، وتفلق الجماجم، وتحفر طريقك داخل المخ... يا من تُغلق فتحات الرأس السبعة (الأذنين والعينين وفتحتي الأنف والفم) وهم خدم رع، ومنشدي ابتهالات تحوت. انظر لقد احضرت الدواء الذي سيقضي عليك" وكان الدواء عبارة عن مستحضر مكوّن من لبن سيدة وضعت طفلاً ذكراً، وراتنج عطري، يتم ترتيل التعويذة السابقة على هذا الخليط أربع مرات قبل تقطيرها على فترات داخل فتحتي الأنف (جاك، د.ت، ص160، كمال، 1991، ص201). وهناك أيضاً وضع عين خنزير في أذن مكفوف لإعادة البصر إليه مع إلقاء التعويذة التالية كما جاءت بالفقرة 356 من بردية ايبرس "ذهبت للبحث عن (هذا) الذي ينبغي وضعه محل (ذاك) لاستبدال ألم فادح". وأحياناً أخرى قد تأخذ التعويذة شكل الأمر في مخاطبة الساحر للروح الشريرة التي تملّكت شخصاً ما في شكل مرض حين يقول "اخرجي يا كاسرة العظام، يا متسللة إلى الشرايين"، أو حين يقول للمرض "اخرج مع البصاق، اخرج مع القيء ..."، أو بذكر اسم المرض حيث يقول الساحر "إني اعرف اسمك. ألست

(7) بردية ايبرس، من أشهر وأطول البرديات الطبية عثر عليها في الأقصر ، تحصّل عليها الأثري الألماني جورج إيبرس عام 1873م، وقام بنشرها عام 1857م، وهي محفوظة حالياً بمتحف ليبزج بألمانيا، يبلغ طولها حوالي 20 متراً وعرضها 30سم ويقع نصها في حوالي 108 عمود يحتوي كل منها على 20 أو 22 سطراً، وهي تشتمل على 877 وصفة طبية لأنواع متعددة من الأمراض وطرق فحصها وعلاجها (مهران، 1989، ص ص392-393).

اعرف اسمك؟"(غليونجي، 1999، ص ص32-33)، وكان المصريون القدماء يعتقدون أن معرفة الاسم غير المعلن لشخصٍ ما تجعله تحت رحمة وسلطة من عرف اسمه (نن، 2012، ص 228).

التمائم (Amulets)

التميمة في اللغة العربية هي: ما يُعلق في العنق لدفع العين (المعجم الوسيط، 2004، ص89). إن الاعتقاد بوجود قوى خفية تؤثر في حياة الإنسان وتسبب له الأذى دفعه إلى اللجوء لعمل التمائم والتي تشتمل في الغالب على عبارات وطلاسم سحرية (المحمادي، 2016، ص91)، بعض تلك التمائم، كان لمواجهة قوى الطبيعة والحيوانات المفترسة، وبعضها لمعالجة الأمراض والحسد والأحلام والهواجس، وبعضها لضمان الحياة الثانية. إن مواجهة الحسد والسحر والعيون الشريرة يلزمها -في اعتقاد المصريين القدامى- قوى مضادة هي قوة التمائم (طوبال، 2008، ص230)، وهي تُعلّق لطلب الحماية من المعبودات أو لجلب الحظ ودفع الشر، وتُستخدم أحياناً للتبرك بها خاصة إذا كانت تحمل اسم معبود ما أو رمزه، وثمة أنواع أخرى من التمائم منها ما كان يُثبّت على مداخل المنازل أو جدران المباني لحمايتها وهي أيضاً تحمل اسم أو رمز أحد المعبودات أو نقش ذا دلالة دينية أو سحرية (فاطمة المحمادي،2016، ص92). ويمكن القول بأن تمائم المصريين كانت متنوعة منها ما اتخذ شكل أجزاء من جسم الإنسان (تمائم تعبيرية) كالقلب أو العين، ومنها ما اتخذ شكل حيوانات تتسم بصفات مميزة (تمائم تشبيهية) كالقوة والسرعة وحدة البصر، ولعلها تعكس رغبة مُقتنيها في التشبه بها على أساس مبدأ أن المتشابهات تُشفى بمثلها، ومنها ما ظهر في شكل مجسمات لبعض الآلهة (تمائم حماية) للظفر برعايتها، بينما يتخذ البعض الآخر شكل الحيوانات المؤذية كالعقارب والثعابين أملاً في الحماية من خطرها (نن، 2012، ص237).

إن صنع تميمة شافية لم يكن يتطلب سوى قطعة من الكتان يُرسم عليها صف من الأشكال الإلهية ثم يتم طيها أو ثنيها بعناية لتُعلّق بعدها في عنق المريض بواسطة شريط من الكتان تم لفه بعُقد متعددة قد تكون 7 أو9 أو12 الهدف منها عقد الشر باعتراض طريق الشياطين ومنعها من المرور (كونج، 1999، ص ص104،106)، وعادة ما تنطوي التميمة -حسب المعتقد- على قوة علاجية ينقلها الساحر إلى المريض دون استخدام دواء ما (يحي، 2015، ص250).

تُعد التمائم بمثابة سجل مهم للميثولوجيا المصرية لما لها من مكانة وأهمية في الحياة اليومية، وقد تم استخدام العديد من المواد لصنع التمائم كالفخار والكوارتز والكريستال الصخري والعقيق والخزف وغيرها، كما تعددت ألوانها أيضاً وكان لكل لون رمزيته الواضحة؛ فاللون الأحمر يرمز إلى الحياة والانتصار أحياناً وأحياناً أخرى يرمز إلى الأشياء الكريهة والغضب، واللون الأخضر ترمز إلى الطيبة وقد ساد الاعتقاد بأن التميمة الخضراء تضمن لحاملها الشباب، واللون الأسود يرمز إلى عالم الموتى، واللون الأبيض يرمز إلى الخلاص، واللون الأزرق الفيروزي يرمز إلى البهجة والسرور (طوبال، 2008ص ص236،245).

لقد استخدم المصريون أنواع عدة من التمائم للأحياء وللأموات على السواء؛ للأحياء بهدف حماية الجسم البشري من الطاقات السلبية والمساعدة في تقوية مناعته، وللأموات بهدف حماية المومياء من التحلل والفساد (جاك، د.ت، ص79)، ومن أشهر تمائم الأحياء هي ما عُرف باسم تمائم مينات (Menat)، وقد أُستخدمت خلال عصر الأسرة السادسة 2345-2181ق.م، وكانت تُعلّق في العنق لكي تجلب المسرّة والصحة للابسها، وثمة تمائم تُعرف باسم عين حورس وتُسمى في اللغة المصرية القديمة واجت (Wadjet) وهي من أكثر التمائم شيوعاً، وكان استخدامها سائداً في كل العصور، وكانت تُصنع من الذهب والفضة والجرانيت والعقيق واللازورد والخزف والخشب، وبشكل عام فإن القصد من تعليق العين كتميمة هو جلب القوة والعزيمة والحماية والأمان والصحة والعافية (يحي، 2015، ص ص249-250)، إنها تمثل عين العناية الإلهية التي تراقب الأحياء وتُهلك أعداء الحياة، وعادة ما يحمل الفرعون -وهو إله في نظر الرعية- عين العناية الإلهية فوق جبينه في شكل كوبرا منتصبة (جاك، د.ت، ص173).

كما استخدم المصريون تميمة الجعران على نطاق واسع؛ وهو خنفساء الروث أو الجُعل الذي يضع بيضه في كرة من روث الماشية، ويظل يدفعها بأرجله الخلفية، وهو بهذا يحاكي حركة الشمس في مدارها الفلكي، والجدير بالذكر أن الجعران في اللغة المصرية القديمة يُسمى خبرر (KhepGrer) ومنها اشتقت كلمة (Khepr) وتعني يأتي إلى الوجود ثم تطورت إلى يكون أو يصير، بالتالي صار الجعران رمزاً للبعث والخلود (بوزنر، وآخرون، 1996، ص ص123-124). ويتم استخدام الجعران في السحر بقيام الساحر بوضع

الجعران في لبن بقرة سوداء، ويوضع اللبن على موقد مشتعل وبذلك يتم تفعيل السحر (جاك، د.ت، ص201).

وفي جانب آخر كان للتمائم مكانة مهمة في عالم الأموات، وعمليات التحنيط، لذلك استخدم الكهنة عدداً كبيراً منها، قد يصل أحياناً إلى حوالي 104تميمة للمومياء الواحدة، وعلى سبيل المثال كانت تميمة الجعران تُستخدم لحماية قلب المتوفى، حيث توضع التميمة فوق المومياء قبل الدفن؛ لحماية القلب وحفظ جسد المتوفى من التحلل فيصبح خالداً ومن ثم تدخل روحه العالم السفلي وهي واعية، وهذا هو الهدف من تحنيط الجثث (جاك، د.ت، ص ص47،79)، وثمة من يعتبر أن الغاية من وضع تميمة الجعران على قلب المومياء هو منع القلب من الشهادة ضد صاحبه في حفلٍ وزن قلب المتوفى على يد قضاة العالم الآخر لمعرفة ما إذا كان يستحق الخلود (بوزنر، وآخرون، 1996، ص277)، وغالباً ما تحمل تميمة الجعران الخاصة بالقلب نقشاً يتضمن فقرة من كتاب الموتى؛ حيث يتوسل المتوفى إلى قلبه لكي لا يشهد ضده أو يناقض أقواله: "أي قلبي لا تقف شاهداً ضدي، لا تتفوه بشيء ضدي..." (الخروج إلى النهار، الفصل 30).

وبالإضافة إلى تميمة الجعران ثمة تمائم أخرى تُدفن مع المومياء، منها تميمة الإبزيم أو الحزام لمنح الميت منفذاً إلى جميع أنحاء العالم السفلي، تميمة الرأس لإعادة تشكيل جسد المتوفى في العالم الآخر، تميمة الوسادة لرفع وحماية رأس الميت، تميمة القلادة الذهبية لمساعدة الميت في التخلص من لفافات مومياءه، تميمة الروح لمساعدة روح الميت في الاتحاد مع جسده المحنط، تميمة السلّم لمساعدة الميت في التسلق إلى السماء والحصول على موافقة لدخول الجنة، وغيرها كثير (الماجدي، 1998، ص ص266-267).

ولحماية الميت من مهاجمة الأرواح السفلية أثناء رحلته بالعالم السفلي، يقوم الكهنة بوضع لفافة بردي تحوي نصوصاً سحرية بجوار المومياء، أو وسط لفائفها قرب الرأس أو عند الأقدام لتزويده بالكلمات السحرية والخرائط التي ترسم له خط سير رحلة روحه في العالم الآخر (جاك، د.ت، ص31). وإجمالاً فإن التمائم تتضمّن معظم رموز الفكر الديني بمصر القديمة؛ كالآلهة والحيوانات المقدسة والصولجانات الملكية والتيجان، ومنذ عهد الأسرة السادسة والعشرين 644-525ق.م تزايدت أنواع وأشكال التمائم بشكل

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 14, Sep. 2019

Published online in September

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الرابع عشر، سبتمبر 2019م

كبير، وصارت تتجه نحو السذاجة والسطحية، خاصة مع استخدام شعر الماعز والأبقار في صنعها (جاك، د.ت، ص ص80-83). تُنظر بعض نماذج التمائم المصرية في الشكل التالي.

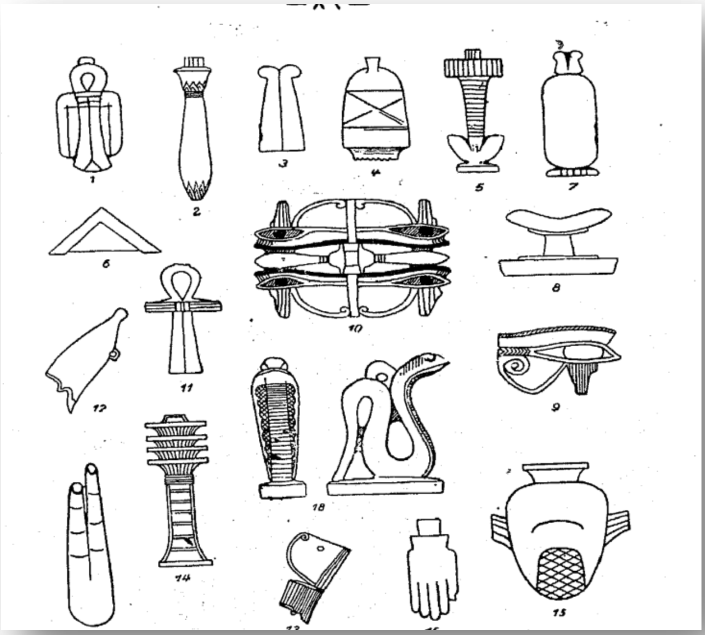

(جيار، رينر، 2008، ص86)

علاقة السحر بالطب (Relation of Magic With Medicine)

كان المصريون قديماً يؤمنون بأن تعرّض الإنسان للأذى يرجع إلى تأثير عوامل خارجية، ومن تلك العوامل: المرض، فإذا كان للمرض سبب ظاهر تكون الأولوية للطب والاتجاه إلى علاج المصاب بطرق علمية، أما إذا كان سبب المرض غير معروف، فإنهم في تلك الحالة ينسبونه إلى عوامل خفية لجهلهم بمسبباته كنسبته إلى الأرواح الشريرة أو عقاب الآلهة، ويتجهون إلى محاربته بوسائل تلائمه كالتوسّل بروحٍ أقوى أو الالتجاء إلى السحر واستخدام أشياء غريبة إما للدلالة الرمزية لتلك الأشياء، وإما بهدف نقل

المرض من المريض إلى حيوان مثلاً، أو بالعكس، نقل الصحة من الحيوان إلى المريض (غليونجي، 1999، ص32).

ومع تقدم الزمن تعاظم دور الممارسة السحرية على حساب العلاج الطبي التقليدي، ومن غير الواضح بالتحديد متى وكيف يُرد مرض معين لتأثير السحر، ولكن الاعتقاد بقدرة السحرة على التسبّب بالأذى ابتداءً من الأرق وحتى الموت بما في ذلك الاضطرابات العقلية ومشكلات التخاطب والوهن والشلل ...الخ كان واضحاً للغاية. وعند اللجوء إلى الكاهن المختص لطلب الاستشارة والنصيحة في الحالات المرضية فإنه قد يُرجع الحالة عند تشخيصها إلى السحر، ولا شك أنه يُتبع تشخيصه بإجراءات معينة لعلاج الشخص المعني. وثمة عديد الوصفات التي تُسمى بالوصفات الطبية لمقاومة آثار السحر، وإبطال الأذى الذي يسببه السحرة عموماً (سوزولون، 2016، ص ص 108-109).

ومعلوم أن أغلب البرديات الطبية المصرية يظهر في بعض وصفاتها الطابع السحري، وعلى سبيل المثال فإن الفقرات 165،166،167،168،733 من بردية ايبرس تتضمن وصفات لإزالة السحر من الجسد بخلط بعض المواد والأعشاب الطبية وشربها مع الإشارة إلى عدد مرات تناولها وتوقيت ذلك (كمال، 19991، ص ص146،199). وغالباً ما تتضمن تلك البرديات إشارة تفيد بأنه قد عُثر على هذه البردية أو تلك تحت قدمي تمثال لأحد الآلهة، ويبدو أن الغرض من ذلك التأكيد على مصداقيتها وإبراز قيمة محتوياتها؛ فهي تهدف إلى دعم تأثير الدواء بقوة السحر لصالح المريض، وكثيراً ما يكون للإيحاء النفسي لهذا الاقتران فاعلية تفوق أي تأثير علاجي للدواء (نن، 2012، ص ص228،230)، وفي هذا الصدد يُلاحظ –على سبيل المثال– أنه تتصدّر بردية ايبرس ثلاث فقرات تؤكد على أهمية أن يكون تعاطي بعض الأدوية مصحوباً بنطق تعويذة سحرية مناسبة، وهي كما يلي (كمال، 1991، ص ص128-129): -

- الفقرة الأولى"...لدي القناعة أن إله الكون سيعمل على إبطال الأعمال الشريرة للآلهة الأشرار... التي تسيطر عليّ وتُمرض رأسي، وفقرات ظهري، وكتفيّ ولحمي وأطرافي ..." تُلقى هذه التعويذة أثناء وضع الدواء على مكان الألم في جسم المريض أو عند بسطه على موضع الإصابة.

- الفقرة الثانية" شفاءٌ شفاءٌ من ايزيس. شفاء حورس... يا ايزيس عظيمة السحر اشفيني ونجني من جميع الأشياء السيئة ومن الأوجاع المؤلمة..." وتُلقى هذه التعويذة عند فك الأربطة التي سبق وضعها على مكان الإصابة أو المرض.
- الفقرة الثالثة" تعويذة تُتلى أثناء تناول الدواء: تعالي أيتها الأدوية تعالي واطردي الأوجاع عن قلبي هذا وعن أطرافي هذه، فالسحر يقوّي الأدوية، يُكرر عدة مرات...يُقال عند تناول الأدوية وهو مُجرّب ألوف المرات". وواضح أن هذه الفقرة تؤكد على ضرورة أن يكون تناول الدواء مصحوبا بنطق تعويذة سحرية لضمان فاعليته.

وفي جانبٍ آخر كان المصريون القدماء حريصين على إطلاق أسماء الآلهة على كل عضو من أعضاء المتوفى طمعاً في الظفر بحمايتها (بوزنر، وآخرون، 1996، ص188)، يؤكد ذلك ما جاء في كتاب الموتى على لسان الشخص المتوفى "...وجهي هو رع، وعيناي هما حتحور، وأذناي هما أبوات، وشفتاي هما أنوبيس، وأسناني هي سركت...، وأحشائي هي سخمت...، وقدماي هما بتاح...لن تهاجم ذراعاي، لن تقيد يداي الإنس ولا الجن سواء كانت أرواح طيبة أم شريرة..." (الخروج في النهار، الفصل 42). ولعل الغاية من وراء ارتباط أعضاء الميت بالآلهة على هذا النحو هو الظفر بقدرات سحرية واسعة تساعده على تخطي العقبات والامتحانات العسيرة في سبيل الفوز بالخلود وصحبة الآلهة، من ثم القدرة على مغادرة العالم السفلي والخروج في النهار لتفقّد بيته وأهله.

كما لجأ الأطباء السحرة بمصر القديمة إلى استخدام التماثيل الشافية؛ وهي تمثّل بشراً أُشتهروا بتقواهم، وعادةً ما يُغطى جسم التمثال ما عدا الوجه بكتابات ونقوش متعددة، وما أن يُسكب عليه الماء حتى يصبح مقدساً نظراً لمروره على تلك الكتابات الأمر الذي يمنحه قوة سحرية ويكون بذلك جاهزاً للشراب عند الحاجة (دونان، كوش، ص1997، ص140). وكانت التماثيل الشافية تُصنع بطريقة خاصة وتُغطى بالنصوص السحرية وتُكرّس للمعابد حيث تُوضع في أماكن خاصة بالاستشفاء (جاك، د.ت، ص 162). ينتصب التمثال المغطى بالنصوص السحرية فوق قاعدة حُفر بها حوضان الأول مستطيل ويحيط بالتمثال ويتصل بالحوض الثاني وهو بيضوي الشكل وأكثر عمقاً، وحينما تُسكب المياه فوق التمثال تنزل إلى

الحوض الأول، ثم تنساب إلى الحوض الثاني بعد أن تتشبع بالنصوص السحرية (كونج، 1999، ص142)، وبعد اكتساب الماء طاقة السحر يقدمه الطبيب الساحر للمريض ليشربه، ويُستخدم هذا الماء بصفة خاصة في حالات التعرّض للذع الحيات والعقارب (جاك، د.ت، ص162)، الشكل التالي يمثل نموذجاً للتماثيل الشافية.

(نن، 2012، ص239)

وأحياناً يتم اتباع وسيلة أخرى أسهل وأسرع؛ حيث تُكتب تعويذة سحرية مناسبة على قطعة من الفخار أو ورق البردي وتُنقع في سائل معين يشربه الشخص المعني (بوزنر، وآخرون، 1996، ص ص188-189)، والجدير بالذكر أن صورة العقربُ تعد من أقدم النقوش الهيروغليفية المصرية، ومازال العقرب الأفريقي يتكاثر بشكل كبير في مصر خاصة في المناطق الرطبة وحيث تكثر الأحجار، وعادةً لا يمكن رؤية العقرب لأنه لا يبحث عن فريسته، ولكنه يهاجم بقوة أي قدم تدوسه دون علم، وأي يد تصل مخبأه، ويُذكر أن أغلب المصريين قديماً كانوا يسيرون حفاةً، وكان انتعال الأحذية يُعد نوعاً من الترف عند الفقراء، ولدفع خطر العقارب عن الأحياء والأموات يتم تجريد العقرب من إبرته السامة حتى لا تتسبب في إلحاق

الأذى بالميت عند عودة النقش إلى الحياة بواسطة السحر–حسب اعتقادهم– أما الأحياء فثمة العديد من التعاويذ الواقية لهم من لسع العقارب (بوزنر وآخرون، 1996، ص ص234،237)، ومن ناحية أخرى وكإجراء احترازي كانت العديد من المعابد والمساكن تضم أحجاراً مقدسة عُرفت باسم سيبي (Cppi) تتضمن تعاويذ للوقاية من هجمات بعض الحيوانات والزواحف والحشرات (نن، 2012، ص233).

من الخطأ إنكار تأثير السحر كأسلوب فعال في العلاج عند القدماء؛ ذلك أن الإيحاء للمريض بإمكانية الشفاء وبث الأمل داخله يساعد بشكل كبير على تعافيه خاصة فيما يتعلق بالإحساس بالألم، ويمكن مقارنة ذلك بتأثير العلاج الإيحائي التوهمي (placebo therapy) الذي يلجأ إليه الأطباء حالياً لعلاج الأمراض النفس–جسمية (Psychosomatic Diseases)، ونظراً لقلة الأدوية ذات التأثير العلاجي الحقيقي آنذاك فمن غير المستبعد أن يرجع نجاح كثير من الممارسات السحرية إلى التأثير الإيحائي. وفي بعض الحالات يمكن الوصول إلى تفسيرات علمية لما يبدو للوهلة الأولى مجرد سحر؛ وعلى سبيل المثال فإن استخدام السحرة لبعض الأعشاب ذات الفائدة العلاجية وتحديد توقيت جمعها وطريقة إعدادها يوحي بأن الأمر ليس مجرد تخيّلات ساحر، وإنما هو أمر علمي ادركه السحرة بالممارسة (نن، 2012، ص 217)، ولتأكيد قدراته قد يستخدم الساحر أحياناً عقاقير سرية قوية تؤدي إلى حدوث انفعالات نفسية كالوسوسة والتخيلات البصرية والإصابة بالهستيريا وهو ما يتم تأويله من جانب الحضور على أنه دلالة على حلول روح ما بالساحر(غليونجي، 1999، ص14).

السحر والدين (Magic and Religion)

إن كل ما يتعلق بالموت من المقبرة وزخارفها، ومعالجة الجثث وتحنيطها، وما يُقام من شعائر جنائزية إنما يعبر عن الوجود الكلي للسحر في حياة المصري القديم، فضلاً عن إيمانه بأن مجرد امتلاك نسخة من كتاب للصيغ السحرية كفيل بتمكينه من تخطي كافة العقبات التي يمكن أن تمنعه من الحياة مرة أخرى بعد موته (كونج، 1999، ص314)، ولعل في هذه الإشارات إلى حياة أخرى بعد الموت دليل على وجود وأهمية الدين في حياة الإنسان القديم بدرجة لا تقل عن السحر، ولكن أيهما سبق الآخر في الظهور، وهل ثمة تعارض بينهما؟ لقد أثارت هذه المسألة جدلاً واسعاً بين المختصين؛ فثمة من يؤيد فكرة أسبقية السحر

على الدين ويرى أن الإنسان أول أمره اعتقد بأنه يستطيع التحكم في سير عمليات الطبيعة بواسطة التعاويذ والطقوس السحرية، لكنه لم يلبث أن اكتشف فشل تعاويذه وطقوسه في بلوغ هذا الهدف فتصوّر أن عناصر الطبيعة تخضع لسلطان قوى روحية ذات قدرات خارقة الأمر الذي دفعه إلى التحوّل نحو عبادتها والسعي لاسترضائها، ومن هنا ظهر الدين وحلّ الكاهن محل الساحر (فرايزر، 2014، ص223).

وثمة من يعارض فكرة انبثاق الدين عن السحر ويرى "إن الدين لم ينشأ عن السحر، لأنه لا فرق بين السحر والدين عند منابت وجذور الثقافة الإنسانية. وليس السحر إلا شكلاً أصلياً وأولياً من أشكال الدين سابقاً ظهور الشخصيات الإلهية في المعتقدات الدينية للإنسان؛ فالساحر الذي يتوسط بين الأسباب ونتائجها لا يعتمد على مبدأ ميكانيكية الطبيعة وخضوع عملياتها لقوانين ثابتة. بل على مبدأ القوة السارية الذي يرتبط به عالم الظواهر ويكمن خلف تسلسل الأحداث في الطبيعة، والقوى التي يعتمد عليها الساحر هي قوى دينية بالمعنى الحقيقي للكلمة. لقد تطور مفهوم السببية لدى الإنسان تدريجياً من خلال مراقبته لمحيطه حيث أدرك مثلاً أن الماء يطفئ النار وأن السحاب ينزل المطر إلا أنه لم يردّ الأثر الذي تنقّل من السبب إلى النتيجة إلى الخصائص الكامنة في طبيعة الأشياء بل رأى أن العنصر الفاعل وراء السببية هو قوة تنقل الأثر من السبب إلى النتيجة وتتوسط بين الطرفين لذلك فإن طقس المحاكاة الديني أو السحري كان إجراء يهدف إلى التأثير في القوة من أجل دفعها إلى إحداث النتيجة المطلوبة، وفي الواقع فإن ظهور الآلهة المشخّصة في تاريخ الدين أدى إلى استقلاله عن السحر حيث توجّهت طقوس الدين إلى الآلهة، بينما ظلت طقوس السحر تدور حول المفهوم القديم للقوة السارية بعد أن ابتعد هذا المفهوم عن الدين وتحوّل إلى إحساس بقوى غامضة مؤثرة في الطبيعة"(سواح، د.ت، ص ص193-194).

وثمة من يرى أن السحر يختلف عن الدين في نوعية المعتقد؛ ذلك أن القوة الخفية في السحر تكمن داخل الإنسان، وإن وُجدت خارجه فإنها تظل مرتبطة به بطريقة ما ويمكن السيطرة عليها، في حين أن القوة الخفية في الدين خارجية ويجسّدها كائن أو كائنات إلهية وهي التي تسيطر على الإنسان وترسم له مصيره، ومُجمل القول وفق هذا الرأي أن الساحر يأمر القوة الخفية بينما يخضع المتديّن لها (الماجدي، 1998،

ص33). والأرجح أن السحر والدين قد وُلدا من رحم واحد وترعرعا معاً، وأن الخلاف بينهما إنما ارتبط دائماً باتساع مدارك الإنسان القديم وتنوّع وتراكم المعارف لديه.

يشترك السحر مع الدين في الإيمان بأن وراء العالم المرئي عالماً غير مرئي تسكنه قوى خفية أقوى من الإنسان، بعضها خيّر أساساً من حيث أنه لا يعمد إلى الأذى إلا إذا دُفع لذلك، وبعضها شرّير ومؤذٍ بطبعه، وأنه بالإمكان التواصل مع تلك القوى الخفية باستخدام صيغ وأسماء بل وأعداد معينة وممارسة شعائر وطقوس خاصة وتقديم قرابين. وفي حالة الدين اعتقد الإنسان أن التواصل مع تلك القوى الخيّرة اتقاءً لغضبها وطلباً لرضاها يكون باتباع أوامرها وتجنب نواهيها وإقامة شعائر العبادة وطقوس التقديس تعبيراً عن الخضوع. أما في حالة السحر فقد اعتقد الإنسان أن التواصل مع تلك القوى الخفية الشريرة لتسخيرها في تنفيذ إرادته وتحقيق مطالبه يكون بامتلاك قوى سحرية –تمكنه من إملاء أوامره– وممارسة طقوس سحرية لاستحضار القوى الخفية وجعلها تحت إمرته، وهكذا فإنه في حين يتضرع الإنسان المؤمن إلى القوى العليا التي يسعى لاسترضائها لتمنع عنه الضرر وتجود عليه بالخير، وتتحكم في قوى الطبيعة لصالحه يدّعي السحر أنه يستطيع جعل القوى الخفية الشريرة في مجال السحر الضار، والقوى الخفية غير الشريرة في مجال السحر النافع تخضع لإرادته بالتبحّر في أسرار السحر وإقامة طقوسه (مقار، شفيق، 1990، ص ص22-23).

يصعب التفريق بين السحر والدين لتداخل كل منهما في الآخر، وقد جرت محاولات عدة لوضع حد فاصل بينهما؛ فثمة من يرى أن الدين هو العقيدة، وأن السحر هو الطقس ولكن الدين الذي لا يرسم لمعتنقيه خط سيرهم في الحياة لا يُعد ديناً ولا يخرج عن كونه نظرية فلسفية خالصة، وثمة رأي آخر يعتبر أن الإنسان في بداية إيمانه بالآلهة كان عليه أن يسلك أحد طريقين؛ إما محاولة الاستعانة بها –وهو أمر لا يختلف عن السحر في جوهره ولا في شكله– وهذا ما ساد الفكر الديني في عصر الفراعنة، وقد اكتسبت الطقوس الخاصة بهذا النوع من العبادة جمود الوسائل السحرية نفسها. وإما قبول سلطانها والقيام بواجبات عبادتها نظير ما تمنحه من الحماية والرعاية، وربما كان هذا الاختلاف في الموقف هو الفيصل الحقيقي بين السحر والدين، وثمة من يرى أن السحر يستمد تأثيره من قوى مؤذية، بينما يتوسل الدين إلى قوى إلهية

(غليونجي، 1999، ص ص24-25). "إن التعارض بين السحر والدين ليس له معنى إلا في إطار ديانات التوحيد"(كونج، 1999، ص396) ولعل في هذا الرأي ما يمكن أن يحسم النقاش في هذه القضية الجدلية.

السحر الرسمي (Official Magic)

عرف المصريون السحر الرسمي الذي تمارسه السلطات العليا منذ عهد الدولة القديمة 2686-2181ق.م؛ حيث كانت السلطة المركزية تتحصن بالسحر من المصريين أو الأجانب الذين يشكلون خطراً ما، بل أنها -في كثير من الأحيان- تقرن الإجراءات الحربية بسحر مستقبلي أي أنه لا يصبح فعالاً إلا في حالة تحوّل التمرد أو العصيان أو الحرب إلى أمر فعلي، ويهدف هذا السحر الرسمي إلى ضمان أمن الدولة بانتهاج سبلٍ عدة منها استخدام نصوص سحرية تحت مُسمى "صيغة العصيان" وتتضمن نوع من الحماية الموجهة ضد مختلف الأعداء، وكانت التماثيل المخصصة لذلك صغيرة بصفة عامة يتراوح طولها ما بين 4 إلى 6 سم، وفي الجزء العلوي من بعض تلك التماثيل يظهر جزء مسنن يشير إلى عنق مقطوعة، والبعض الآخر به مجرد نتوء بسيط به ثُقب لتمثيل الأسرى المقيدين، وتوجد مئات من تلك التماثيل السحرية الصغيرة والأواني والشقف الفخارية التي نُسخت عليها صيغة العصيان ويرجع معظمها إلى عهد الأسرة السادسة 2345-2181ق.م (كونج، 1999، ص-ص173-174)، وكانت تلك التماثيل الصغيرة تشكل بديلاً للأشخاص الذين توجّه ضدهم الطقوس السحرية، وغالباً ما كانت تُصنع من الشمع أو الفخار(جاك، د.ت، ص86)، ويبدو أن الإدارة المركزية كانت ترسل تلك التماثيل الصغيرة مع نصوصها إلى القطاعات الحدودية المختلفة مرفقةً بقوائم تتضمن أسماء الأمراء والأشخاص الخطرين (كونج، 1999، ص180).

Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, Vol. 1, No. 14, Sep. 2019
Published online in September
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول ـ العدد الرابع عشر، سبتمبر 2019م

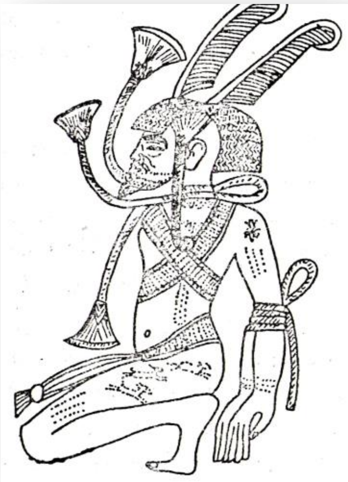
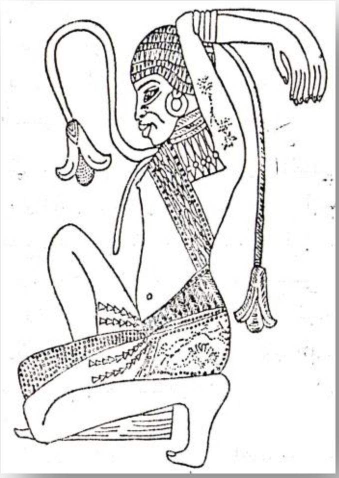

(كونج، 1999، ص ص175،177)

ومن خلال أعمال السحر الرسمية التي كانت تُمارس منذ بداية عهد الدولة القديمة كان من الطبيعي أن يكون النوبيون هم أول المستهدفين بها فالأمر يتعلق بفترة تمت خلالها حملات حربية مهمة على بلاد النوبة، وتُبيّن النصوص الأكثر حداثة أن الإدارة المركزية –وهي تُحاط علماً بكل ما يحدث في أنحاء البلاد وبالمناطق الحدودية– كانت تستكمل بشكل منظم القوائم الخاصة بالأمراء المشاركين في الأحداث الجارية وغيرهم لاتخاذ الإجراءات اللازمة؛ حيث يتم التمثيل التقليدي للعدو بإظهاره في شكل أسير راكع رُبطت ذراعاه خلف ظهره، وقد تم جمع بقايا الكثير من تماثيل الأسرى من المعابد والمقابر، وهي عادةً ترمز إلى الأعداء الذين يهزمهم الملك (كونج، 1999، ص ص175-176). والخلاصة أن الحكومة كانت على ما يبدو تُكلّف بعض الكتبة في الإدارة المركزية بتدوين نصوص "صيغة العصيان" لإرسالها إلى القلاع والمواقع المحصّنة لإحكام تحصينها بواسطة النصوص السحرية، وبالتالي تتم إحاطة الدولة بحماية سحرية تواكب الحماية العسكرية (كونج، 1999، ص181).

وفي حالة تطور الأمور إلى وقوع صدام مسلح مع الأعداء يكون على الملك أن يستخدم سلاح السحر في معاركه الحربية؛ فهو قبل المعركة يقوم بترتيل تعويذة سحرية موجّهةً ضد خصومه، ويُعد ذلك أحد طقوس

السحر الرسمية، وعادة ما تتبع تلك الطقوس الشفهية طقوس عملية؛ حيث يقوم الكهنة في المعابد بكتابة أسماء أعداء الدولة باللون الأحمر –وهو لون شؤم لمن تُكتب به أسماؤهم- في شكل قوائم على تماثيل الفخار الصغيرة التي تمثّل الأعداء المهزومين والمقيدين، ويتم ضرب تلك التماثيل وطعنها بالخناجر والبسق عليها ثم تُداس بالأقدام، ويُعرف هذا الطقس بطقس إهلاك أعداء رع [8] (Re)، وفي نهاية المطاف يتم حرقها ودفنها ليصبح من تمثلهم عديمي الضرر (جاك، د.ت، ص144).

(كونج، 1999، ص224)

ومن طقوس السحر الرسمي أيضاً طقس كسر أواني الفخار الحمراء بعد إتمام عملية حبس قوى الشر بداخلها؛ حيث يقوم الكهنة بكتابة أسماء الأعداء على الآنية الفخارية الحمراء وتسجيل كل الأفكار والكلمات والمؤامرات والمعارك وحتى الأحلام السيئة والكوابيس على تلك الآنية، وتُجمع كل تلك الأشياء الشريرة ويتم تحطيمها لإشاعة الذعر والخوف في قلوب الأعداء والتخلص منهم (جاك، د.ت، ص ص144-145). وكما كان تمثال شخص ما يعني إظهاره وإمكانية التحكم به –حسب قناعاتهم- فإن مجرد كتابة اسمه يعني إظهاره أيضاً وهو أمر كافٍ قد يُغني عن صورة التمثال (كونج، 1999، ص173).

(8) رع، إله الشمس في مصر القديمة، وقد اتخذ بعض ملوك الفراعنة لأنفسهم لقب ابن رع (مهران،1989، ص362).

لقد اعتقد المصريون القدامى أن الكلمة تنطوي على قوة خلاقة، وأن الاسم كائن حي لذلك فإن معرفة اسم شخصٍ ما تكفي للتحكم فيه أو السيطرة عليه، وكان شائعاً أن أفضل وسيلة للأخذ بالثأر من الأعداء بعد موتهم هي تشويه أسمائهم على ما تركوا من آثار، بالتالي يتم التأكيد على أنهم ماتوا حقيقةً (بوزنر، وآخرون، 1996، ص33).

غالباً ما تتمخّض الأزمات السياسية عن إصدار عقوبات بالإعدام تكون مصحوبة بمحو وإزالة اسم الشخص المحكوم من كافة النصوص التي يمكن الوصول إليها وتدمير تماثيله كنوع من التنكيل به (ڤيرنوس، يويوت، 2001، ص114)، ويبدو هذا كإجراء احترازي يهدف إلى الحيلولة دون عودة صاحب ذلك التمثال أو الاسم إلى الحياة في أي وقت، ويكون ذلك بتقطيع أوصال جميع الحيوانات المستعملة كرموز هيروغليفية في النصوص السالفة الذكر، وثقبها بالسهام والسكاكين لإبطال أي تأثير لها، والجدير بالذكر أن النقوش الهيروغليفية المصاحبة للأعمال الفنية المصرية لم تكن مجرد زخارف بل كانت الغاية منها زيادة قوة الصيغ والأسماء المنقوشة على التمثال أو بالقرب منه (بوزنر، وآخرون، 1996، ص ص188،260)، ولعل في هذا انعكاس لنظرة المصريين إلى حروف اللغة الهيروغليفية على أنها كائنات روحية مؤثرة بشكل فعال في العالم الآخر، ولذلك يتم تصوير الكائنات الخطرة في نصوص المقابر مبتورة الأطراف أو مقطوعة الرأس، وينطبق الأمر ذاته على الأعداء الذين يُصوّرون دائماً وهم مكبلون بالأغلال (جاك، د.ت، ص ص32-33)، الشكل التالي يمثل نموذجاً للحروف الهيروغليفية المستخدمة في النصوص المشار إليها قبل وبعد بترها.

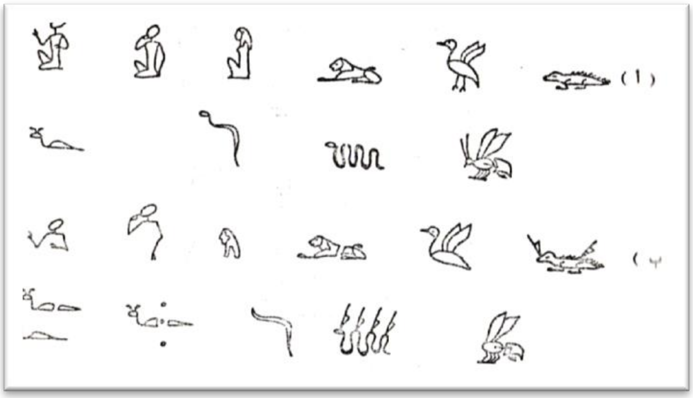

(كونج، 1999، ص301)

كما كان بالإمكان دفع أو منع الأضرار التي تسببها أرواح العالم الآخر-حسب اعتقادهم- بكلمات تنم عن قدرة وسيطرة منها: "إنني أعرفكم وأعرف أسماءكم" (لوكر، 2000، ص46). وفي بعض الحالات الفردية تتم تلاوة النص السحري على التمثال الشمعي أو الفخاري للعدو ويُكتب اسمه واسم والدته ووالده بحبر جديد على ورقة بردي جديدة ثم يُدفن في مكان يُسمى "مكان تنفيذ الحكم"، ويُرجح أن الهدف من استخدام أدوات جديدة وغير مستعملة من قبل هو أن تكون أكثر طهارة، وبالتالي أكثر فعالية في مكافحة الشر (كونج، 1999، ص188). وبشكل عام يمكن القول بأن طقوس تمثيل العدو بتمثال شمعي أو فخاري وما يتبع ذلك من إجراءات تبدو واضحة وجلية نظراً لاكتشاف الأدوات والأشكال المستخدمة وما تمت الإشارة إليه في البرديات ونصوص المعابد (دونان، كوش، 1997، ص ص138-139).

وأما عن سحرة فرعون موسى فيبدو أنهم كانوا يمارسون سحراً هو أقرب ما يكون للاستعراض أو الترفيه بدليل قوله تعالى يوم ﴿قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾ الآية 58 سورة طه، ولعل المقصود بيوم الزينة يوم عيد أو مهرجان والله أعلم، وفيه على ما يبدو يجري التنافس بين السحرة بإظهار قدراتهم لإمتاع وإبهار الحضور. ويُستشف من ذلك أن ملوك الفراعنة قد تعهدوا برعايتهم نوعين من السحر هما: السحر الرسمي الوقائي الموجّه ضد الأعداء، وعادة ما يتسم بالعنف والقسوة، والسحر الترفيهي أيام

الأعياد والاحتفالات، ولم يرد أن تلك المنافسات بين السحرة أيام الأعياد قد خرجت عن إطارها الاستعراضي لتتحول إلى مسألة تحدي إثبات وجود إلا عند ظهور موسى وقبوله تحدي فرعون وسحرته.

وثمة من يرجح أن أولئك السحرة قد استخدموا في سحرهم أساليب ووسائل علمية صرفة، ويدلّل على ذلك بالآيات الكريمة التي تقرن ذكر السحر بالعلم مثل قوله تعالى: ﴿يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ الآية 111 سورة الأعراف، ﴿إن هذا لساحر عليم﴾، ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ الآيتان 33،36 سورة الشعراء (عبد الحميد، 2008، ص ص228-229). لا يبدو هذا الرأي مقنعاً لأن سياق الآيات الكريمة يعطي انطباعاً بأن الساحر أو السحار كان عليماً في صنعته يؤيد ذلك ما ورد في متون التفاسير فعلى سبيل المثال لا الحصر ورد في تفسير الشعراوي أن كلمة ساحر تعني المشتغل بالسحر، وكلمة سحار تعني المبالغ في اتقان السحر، وذكر في تفسير ساحر عليم أي عليم بفنون السحر وألاعيب السحرة (الشعراوي، 1991، ص4288)، بينما جاء في تفسير صحيح ابن كثير: يأتوك بكل سحار عليم أي يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء به (العدوي، 2006، ج3، ص351).

هذا الكم الكبير من الطقوس والتعاويذ والتمائم التي كانت شائعة ومتداولة بين المصريين قديماً هل هو نوع من الإرث الذي تم تناقله بشكل عفوي لا شعوري؟ أم أنه يعكس تدّين المصريين وإيمانهم بأن ما يصيب الإنسان إنما هو بأمر الآلهة؟ أم هو الخوف من الموت، ومن الجهل بما ينتظر الإنسان بعد خروج روحه؟ أم هو الخوف من المرض؟ أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد استغلال من جانب الكهنة لاستثمار الجوانب الروحية والدينية لكافة طبقات وشرائح المجتمع المصري القديم وتنميتها من أجل جمع الثروات؟. أم أن كل ذلك اجتمع ليشكل المزاج العام لسكان وادي النيل وكلٌّ تناوله من زاويته الخاصة؟ وإذا كانت الطبقة العليا قد آمنت بالسحر كنوع من الترف المتمثل في خلق عالم افتراضي يضمن للمتوفى الثري تأمين حياة لائقة في العالم الآخر فما الذي دفع العامة إلى تبنّي الاتجاه ذاته؟

أسئلة يصعب إيجاد أجوبة لها خارج إطار الترجيح وتسجيل الملاحظات؛ حيث يّلاحظ أن السحر بشكل عام شديد الارتباط بكل ما هو غامض أي أن كل أمر يُخيِّم عليه الغموض وعدم الوضوح يكون بمثابة بيئة خصبة لظهور السحر وتجذره، ولعل أهم مجالين ازدهر فيهما نشاط السحرة بمصر هما المرض

والموت؛ فالمرض أو بعض أنواع المرض على الأصح كانت ميداناً لنشاط الأطباء السحرة الذين صاغوا عشرات الوصفات الطبية ذات الطابع السحري. أما الموت فقد أدى إلى ظهور التحنيط وما يتعلق به من طقوس وتعاويذ كانت تتم على يد طوائف متعددة من الكهنة سعياً للحفاظ على أجساد الموتى من التحلل وضمان عبورهم إلى العالم الآخر بسلام دون مضايقات من الأرواح الشريرة التي كانت بمثابة العدو الأول المستهدف دائماً من جانب الأطباء والكهنة لأنها –وفق رأيهم– المسؤولة عن أي خلل يصيب النظام الكوني أو تركيب الكائن البشري، وبذلك يشكل كل من المرض والموت المحور الذي دارت حوله أنشطة السحرة، ولا شك أن الغموض يضفي شيئاً من التبجيل والقداسة على مخرجات تلك الأنشطة ويحول دون التعرّض لها أو انتقادها.

النتائج

إن السحر وما يتضمنه من شعائر يكمن في قلب المعتقدات المصرية حيث يُستعان به لمواجهة كل الأحداث السيئة على المستويين الخاص والعام.

إن وجود آلاف الصيغ السحرية والنصوص والتعاويذ التي يتم استنساخها بشكل مستمر أسهمت في انتشار تداول السحر في المجتمع المصري القديم.

إن إقبال كافة فئات المجتمع المصري القديم على تعاطي السحر ربما يعكس مصلحة خاصة لكل فئة من وراء ذلك؛ حيث رأت فيه السلطات العليا وسيلة لاستتباب الأمن واستمرار الاحتفاظ بالسلطة، بينما وجد فيه الكهنة مصدر دخل مهم بدعوى توفير الحماية من الأرواح الشريرة وأشباح الموتى والعين المؤذية، أما العامة فقد تأملوا أن يكون تعويضاً لهم عن الحرمان من كل ما تمتعت به الطبقات العليا من مزايا.

إن قراطيس السحر في مصر القديمة لم تكن مجرد خيال وألاعيب هواة وإنما هي نتاج مؤسسات قامت تحت رعاية الدولة عُرفت ببيوت الحياة.

إن المصري فيما قبل التاريخ هو المصري اليوم ومثله العربي بشكل عام تعوّد استخدام مصطلحات مثل تميمة، حرز، حجاب وهي مصطلحات ما تزال شائعة ومتداولة حتى اليوم عند كثير من الناس وإن لم ينظروا

إليها من منطلق كونها نوعاً من السحر، ولا يقل عن تلك المصطلحات استخداماً مجسّمات ربما شكلت الجانب المكشوف للتميمة كمجسّم اليد المفتوحة والعين والقرن والسمكة وغيرها.

إن فلسفة الخلود وحياة ما بعد الموت وما يتصل بها من فكر عقائدي هو ما دفع المصريين إلى التفنّن والابتكار في عمليات تحنيط حثث الموتى كجزء أساسي ضمن طقوس عدة لضمان حياة كريمة للميت في العا لم الآخر.

فيما يتعلق بالحياة الآخرة فقد ساد الاعتقاد في مصر القديمة بأنه لا يمكن الوصول إلى الحياة الأبدية من دون السحر؛ ذلك أن النصوص السحرية هي التي تهب روح المتوفى —عند وصولها بوابات الموت–الشجاعة وتزودها بما تحتاجه من معرفة لتتمكن من اجتياز المصاعب والعبور إلى الفردوس بأمان.

إن إبداعات المصريين في الرسم والتصوير على جدران المعابد والمقابر كانت في جانب كبير منها عبارة عن ركائز سحرية تهدف إلى جلب الأمن والاستقرار وتيسير الأمور ودفع الأخطار.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

نصوص مصرية قديمة. (2009). الخروج في النهار (كتاب الموتى). ترجمة: شريف الصيفي. ط2. المركز القومي للترجمة. القاهرة.

ثانياً: المراجع

جاك، كرستيان. (د.ت). السحر والماورائيات في مصر القديمة. ترجمة: صفاء محمد.

جيار، يوليوس. ريتر، لويس. (2008). الطب والتحنيط في عهد الفراعنة، ط3، مكتبة مدبولي. القاهرة.

داليو، كرستيانو. (2013). الطب عند الفراعنة. ترجمة: ابتسام محمد عبد المجيد. ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

دونان، فرانسواز. كوش، كرستيان زفي. (1997). الآلهة والناس في مصر. ترجمة: فريد بوري. ط1. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة.

ريفيير، كلود. (2015). الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان. ترجمة: أسامة نبيل، ط1. المركز القومي للترجمة. القاهرة 2015م.

السواح، فراس. (د.ت). دين الإنسان. ط4. دار علاء الدين للنشر والتوزيع. دمشق.

سورولن. (2016). النساء والسحر والشعوذة في أشور القديمة. ترجمة: أمل رواش. ط1. المركز القومي للترجمة. القاهرة.

شعبان، رانيا رجب. (2004). حقيقة السحر بين الموروث والمنصوص. ط1. مكتبة الشروق الدولية. القاهرة.

طوبال، فؤاد. (2008). التمائم الدينية الفخارية والخزفية في الحضارة المصرية القديمة. مجلة علوم وفنون. مج20. ع4. أكتوبر.

عبد الحميد، هشام كمال. (2006). تكنولوجيا الفراعنة والحضارات القديمة. ط1. مكتبة النافذة. القاهرة.

غليونجي، بول. (1999). طب وسحر. ط1. دار القلم ومكتبة النهضة. القاهرة.

فرايزر، جيمس. (2014). الغصن الذهبي. ترجمة: نايف الخوص. ط1. دار الفرقد. دمشق.

ڤيرنوس، باسكال. يويوت، چان. (2001). موسوعة الفراعنة. ط2. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة.

كمال، حسن. (1991). الطب المصري القديم. ط1، مكتبة مدبولي. القاهرة.

كونج، إيفان. (1999). السحر والسحرة عند الفراعنة. ترجمة: فاطمة عبد الله. ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

الماجدي، خزعل. (1998). بخور الآلهة. ط1، الأهلية والنشر والتوزيع. عمان.

ـــــــ. (1999). الدين المصري. ط1. دار الشروق. عمان.

مقار، شفيق. السحر في التوراة والعهد القديم. ط1. رياض الريس للكتب والنشر. القاهرة.

مهران، محمد بيومي. (1989). الحضارة المصرية القديمة. ج1. ط1. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

نعمة، حسن. (2001). الأعياد والعادات والتقاليد والمعتقدات عبر التاريخ. ط1. رشاد برس. بيروت.

نن، جون. (2012). الطب المصري القديم. ترجمة عمرو شريف وعادل وديع فلسطين. ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

يحيى، أسامة عدنان. (2015). السحر والطب في الحضارات القديمة. ط1. أشوربانيبال للكتاب. بغداد.

ثالثاً المراجع الأجنبية

Encyclopedia Britannica. (1979). Vol. 6. Index ,The University of Chicago.

__________________. (1979). Vol. II. Ready Reference ,The University of Chicago.

Sanueron, Serge. (2011). The Priests of Ancient Egypt. Grove press. Inc. New York Evergreen Book Ltd. London.

رابعاً التفاسير

الشعراوي، محمد متولي. (1991). تفسير الشعراوي. ط1. دار أخبار اليوم. القاهرة.

العدوي، أبو عبد الله مصطفى. (2006). صحيح تفسير ابن كثير. ط1. دار ابن رجب ودار الفوائد. فارسكور–المنصورة.

خامساً المعاجم والقواميس

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (1988). مختار الصحاح. د.ط. دار الهلال. بيروت.

الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2007). القاموس المحيط. ط2. دار المعرفة. بيروت.

المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي. (2003). المصباح المنير. د.ط. دار الحديث. القاهرة.

بوزنر، جورج. سونرون، سيرج. يويوت، جان. أدواردز، أ.أ.س، ليونيه، ف.ل، دوريس. جان. (1996). معجم الحضارة المصرية القديمة. ترجمة أمين سلامة. ط2. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

لوكر، مانفرد. (2000). معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة. ترجمة صلاح الدين رمضان. ط1. مكتبة مدبولي. القاهرة.

مجمع اللغة العربية. (2004). المعجم الوسيط. ط4. مكتبة الشروق الدولية. القاهرة.

موني، برناديت. (1999). المعجم الوجيز في اللغة المصرية بالخط الهيروغليفي. ط1. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. القاهرة.